التكرارُ في الخُطبة الغديرية

Repetition in Alghaderiah speech. .

م.م. كرار جواد كاظم المفرجي

Mr. Karrar Jawad Kazem Al Mafraji.

كلمات مفتاحية : والانتظام الموسيقي العلاقة الوضعية التكرار اللفظي أصوات الشدة/ الترنّم

Key words: (musical order, postural relationship, verbal repetition, intensity sounds/ intonation).

ملخص البحث

لعلَّ موضوع (التكرار في الخُطبة الغديرية)، من المواضيع التي يلتمس منها بعض المفاهيم التي أخذت موقفاً متقدماً في دراسة الظواهر الأسلوبية، لذا خلص البحث إلى أنّ التكرار قد ورد في هذه الخُطبة المباركة أو الدستور الإنساني للهداية الربانية تكرارا لفظيا دون معناه اي ان الكلام المكرّر جاء متعلقا بما سبقه من كلام او بما تلاه –هذا على صعيد الجملة- أمّا التكرار اللفظي من حيث الأفعال والأسماء والحروف فهذا كان على صعيد زيادة التأكيد والتأثير في نفس السامع ترغيبا وترهيبا.

Abstract

Perhaps the topic of (repetition in Alghaderiah speech) is one of the topics from which some concepts are sought, which have taken an advanced position in the study of stylistic phenomena, so the research concluded that repetition has been mentioned in this blessed speech or the human constitution of the divine guidance verbally repetition without meaning, meaning that repetitive speech It came in relation to what preceded it in terms of words or what followed - this is at the level of the sentence - as for verbal repetition in terms of verbs, nouns and letters, this was in terms of increasing affirmation and influencing the listener's soul in both incitement and terror.

المقدمة

الحمدُ للهِ وحده، وصلّى الله على نبيه وعبده ، وعلى آل بيته أجمعين ، وبعد؛ تمثّل أسلوب التكرار معيناً ثرّا ما انفكّ الدارسون ــ بمختلف ألوانهم ــ ينهلون من فيوضاته الزاكية التي ما فَتِئَتْ تنهمر لا تهدأ على مرّ العصور والأزمان ، فكان هذا دافعاً لكل دارس يدعوه إلى الاغتراف منه ، والدخول في عالمه اللاهوتي متّسع الآفاق ، مترامي الأطراف ، ان موضوع (التكرار في الخُطبة الغديرية)، تلمسّت فيه بعضا من المناهج التي أخذت موقفاً متقدّماً في دراسة الظواهر الأسلوبية ، وقد اقتضت طبيعة الدراسة أن أقسّمها على تمهيد وثلاثة مباحث تسبق ذلك كلّه مقدمة وتختمه خاتمة ، فأمّا التمهيد فقد اضطلع بدراسةٍ إضاءات حول الخُطبة الغديرية مع مفهوم التكرار وأبعاده، وأمّا المباحث الثلاثة فقد أردنا بوساطتها دراسة التكرار اللفظي الذي يخصّ تكرار الحرف بنوعيه استعمال الحروف التي تدلّ على القوة و استعمال حروف المدّ هذا في المبحث الأول، ثمّ تلاه المبحث الثاني ليضطلع بدراسة (تكرار الكلمة وتكرار العبارة في سياق الخُطبة) الذي يوفر قيمة سمعية أكثر ممّا هو في تكرار الحرف الواحد في الكلمة ، ومبحث ثالث يتضمّن (التكرار البديعي) في الخُطبة الغديرية وقد ركزنا فيه على الفنون البديعية في كلام الرسول الأكرم (صلى الله عليه واله وسلم) وهي (جعل أحد اللفظين المكررين أو المتجانسين في أول الفقرة والآخر في آخرها و الجناس والترصيع والعكس) وأتبعت في بحثي هذا منهجاً وصفياً فقمت بدراسة تكرار الحرف في الخُطبة الغديرية وتكرار الكلمات والتكرار البديعي

واغترفت الدراسة مادتها من جملة من الدراسات وبخاصة دراسات المحدثين التي خاضت في هذه المضمار من قبيل دراسة (أنوار الربيع في أنواع البديع، ابن معصوم)، ودراسة (مدخل إلى شعر المتنبي ، حسين الواد)، فضلا على جملة من المراجع الحديثة التي اهتمّت بدراسة الخُطبة الغديرية

فهذه الدراسة هي جهد المُقل، وهي معالجة حاولت جاهدة أن تقطف ثمارا، وتنتج نتائجَ طيبة فيما رُسم لها، فإن كانت قد بلغت الشأن وطالت المراد، وأصابت ما أُرِيدَ لها أن تُصيب، فما كان هذا إلاّ بفضلٍ من الله ثمّ من شيوخ سهروا على تعليمنا، والأخذ بأيدينا إلى مصاف البحث الصحيح، وإن كانت الأخرى فهي منّي أنا ، فأسل الله ــ بعد ذلك ــ أن يتقبّل أعمالنا بقبولٍ حسن، وأن يقيل عثارنا إنّه سميع مجيب، والحمد لله ربّ العالمين .

التمهيد
(التكرار مفهومه وأبعاده مع ملامح عن الخُطبة الغديرية)

لأَبد للباحث في موضوعه أن يسلّط الأضواء على أبرز المفاهيم الخاصة بمفهوم التكرار قبل الخوض في موضوع الدراسة الأساسي؛ لكي يقدّم بين يدي بحثه فرشة تعين القارئ على الوقوف عند هذا المفصل المهم من الظواهر الأسلوبية التي تستخدم في فهم النص الأدبي .

أولاً:التكرار مفهومه وأبعاده

التكرار مصطلح عربي له حضور عند البلاغيين العرب القدامى، فهو في اللغة من الكر: بمعنى الرجوع ، ويأتي بمعنى الإعادة، يقول: الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت١٧٥هـ) يقول «والكّر : الرجوع عليه ومنه التكرار» [١]، وكذلك ابن منظور (ت٧١١هـ) : الكرّ: الرجوع يقال كرّة وكرّ بنفسه ، يتعدّى ولا يتعدّى ، والكر مصدر كرّ عليه يكرُّ وكرّوا . تكريراً : عطف عليه وكرّ عنه :رجع

، فالرجوع إلى الشيء وإعادته وعطفه هو التكرار [٢] ويعدّ التكرار من الظواهر الأسلوبية التي تستخدم في فهم النص الأدبي، لأنه يحمل في ثناياه دلالات نفسية وانفعالية تساعد الناقد الأدبي في دراسة النص ومعرفة أفكار الشاعر وتحليل نفسيته. ويعدّ التكرار من الصور الجميلة في الشعر العربي ، فهو يشمل الحروف والأصوات والصيغ الصرفية والتراكيب، ولعله تجلّى أوضح ما يكون في أبنية القصائد القديمة. [٣] والتكرار من أهمّ المقوّمات التي يقوم عليها الشعر ، ويبرز ذلك في تكار البحر والتفعيلة والقافية ، وهو «ظاهرة صوتية تميزت بها القصيدة وهو إلحاح على جهة معينة في العبارة ، يعنى بها الشاعر أكثر من عنايته بسواها ، وكذلك يسلط الضوء على نقطة حساسة في العبارة» [٤]

ثانياً:ملامح عن الخُطبة الغديرية

خرجت القافلة النبوية العظيمة إلى الحج ، وأدَّى المسلمون مناسكهم بتعليم مباشرة من النبي الأكرم (صلى الله عليه واله) وبعد الانتهاء من هذه المناسك أمر (صلى الله عليه واله) بلالاً أن ينادي بالناس : «لا ينبغي غداً أحد إلا خرج إلى غدير خم» تحركت القافلة العظيمة التي كانت تضم (١٢٠،٠٠٠) من المسلمين نحو الغدير ، يوم الخميس الخامس عشر من ذي الحجة ،بعد ثلاثة أيام من مراسيم الحج وقبيل الظهر من يوم الأثنين الثامن عشر من ذي الحجة ولدى وصولهم إلى منطقة «غدير خم» توقفَ النبي (صلى الله عليه واله) في مكانه وأصدر أمره للمسلمين بالتوّقف فتوقفت القافلة كلها في منطقة الغدير وأخذ كل فرد يتدبّر أمر إقامته هناك حيث نصبوا خيامهم وسكن الضجيج تدريجياً وبأمر من رسول الله (صلى الله عليه واله) قام المقداد وسلمان وأبو ذر وعمار بكسح الأشواك تحت الأشجار التي كانت هناك ورفع الأحجار وقطع الأغصان المتدلية إلى الأرض ، ونظّفوا المكان ورشّوه بالماء ومدوا ثياباً بين شجرتين لتظليل الأرض ثم بنوا المنبر في وسط الظل ،فجعلوا قاعدته من الأحجار ووضعوا عليها بعض أقتاب الإبل ، حتى صار بارتفاع قامة ليكون مشرفاً على الجميع يرون النبي (صلى الله عليه واله) ويسمعون صوته ، وفرشوا عليه بعض الثياب وبعد اقامته الصلاة ظهراً رقى النبي (صلى الله عليه واله) المنبر ووقف على مرقاة منه .ثم دعا بأمير المؤمنين ليكون ولياً للمسلمين . [٥]

المبحث الأول التكرار اللفظي

التكرار اللفظي : هو إعادة اللفظ الأول أو تقويته بمرادفه بالمعنى[٦] .

أولاً : تكرار الصوت

تكرار الصوت الواحد في اللفظة له معناه ومدلوله المعنوي والموسيقي ، فقد يحكي اللفظة حالة المتكلم أو يشير إلى معنى اللفظة نفسها ، فهو يمثل بتكرار حرفيه تكرار المعنى الذي هو أصل مادته، سواء كانت فعلاً أو صوتاً، وهو ما أشار إليه ابن جني قديماً في حديثه عن لفظة الزعزعة والقلقلة والصلصلة [٧] ويتضح أثر هذا التكرار في المعنى إذا تذكرنا أن أصل اللغة عند كثير من اللغويين هو محاكاة أصوات الطبيعة ، يقول ابن جني : «وذهب بعضهم إلى أن أصل اللغات كلهّا إنّما هو من الأصوات المسموعات ، كدوي الريح وحنين الرعد ، وخرير الماء ، ونعيق الغراب، وصهيل الفرس... إلى أن يقول: وهذا عندي وجه صالح ومذهب متقبّل» [٨] وهذا ما أكده المحدثون أيضاً من علماء اللغة، فأرجعوا بعضها إلى روابط طبيعية والأخرى إلى روابط وضعية يقول د.وافي : «...أمّا الروابط الطبيعية فأساسها محاكاة الأصوات ، فكثير من الكلمات الدالة على أصوات الإنسان والحيوان والأشياء،

وبعض الكلمات الدالة على الأفعال التي يحدثها الإنسان أو غيره ، تحكى أصواتها في صورة ما الظواهر التي تعبر عنها ، ومن ذلك القهقهة والدندنة ... أما النوع الثاني وهو العلاقة الوضعية فيكون بالاشتقاق العام ، والاشتقاق الكبير،والاشتقاق الأكبر» [٩] ومن هذا القبيل قوله (صلى الله عليه وآله وسلم)في خطبة يوم الغدير «... حميداً لم يزل ، ومحموداً لايزال، ومجيداً لايزول، ومبدئاً ومعيداً وكل أمرٍ إليه يعود ...»[١٠] فلهذا التكرار مزيتان هنا منها ما يعود على الجرس ومنها ما يعود على المعنى ،وقد ساعد تكرير الصوت في تشخيص المعاني وتقريبها من إدراكنا الحسي .

إذ ورد صوت الألف مرات متعددة وهو من أصوات الشدة الذي يحدثه الانفتاح المفاجئ لممر النفس بعد إغلاقه . [١١]

ومنه قوله (صلى الله عليه وآله وسلم) : «...مُحْصِيْ الأنفاس وربُّ الجنةِ والناسِ، الذي لا يشكلُ عليه شيء ، ولا يضجره صراخ المستصرخين ، ولا يبرمه إلحاح الملحين. العاصم للصالحين...» [١٢] فقد ورد تكرار صوت الصاد وهو صوت الصلصلة فأحدث صوت الصاد صوتا يماثل أو يصور الضجة

أمّا الشق الثاني في تكرار الأصوات لديه ، من قرار الخُطبة ، نحو قوله (صلى الله عليه واله وسلم) «وسألت جبرائيل أن يستعفي لي السلام عن تبليغ ذلك إليكم – أيها الناس لعلمي بقلة المتقين وحيل المستهزئين بالإسلام ، الذي وصفهم الله في كتابه بأنهم يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم ويحسبونه هيناً » [١٣]

شاع في هذا المقطع من الخُطبة تكرار صوت السين فعند النطق به يكون مجرى الصوت عند المخرج ضيقاً بحسب الهواء انحباسا محكماً عند النطق به ( )، الذي كرره تسع مرات ، وهو صوت يمتاز بحدة الجرس وعلو الصفير ، وهو صوت يوحي بالتناغم الموسيقي التي شاعت في تكراره (سألت – يستعفي – السلام – الناس - المستهزئين – الإسلام - ألسنتهم - ليس - يحسبونه)

ومن أجل توفير الموسيقى الداخلية للخطبة لجأ إلى ألوان

اسم الصوت	الكلمة	عدد مرات التكرار
السين	سألت – يستعفي – السلام – الناس	٤
السين	المستهزئين – الإسلام - ألسنتهم - ليس - يحسبونه	٥

عديدة من تكرار الأصوات هي :

أ – استعمال الأصوات التي تدل على القوة

عمد الرسول الأكرم (صلى الله عليه واله وسلم) في بعض أجزاء الخُطبة إلى بعث موسيقى من نوع خاص في سياق الخُطبة بحيث تؤثر هذه الأصوات في أذن السامع من طرقات قوية متتالية ، وذلك باستعماله الحروف التي تدل على القوة ، ومثال ذلك قوله :»أن علياً والطيبين من ولدي من صلبه هم الثقل الأصغر والقرآن الثقل الأكبر ، فكل واحد منهما منبئ عن صاحبه وموافق له ، لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض» [١٤]

يعتمد الرسول (صلى الله عليه واله) في هذه الأجزاء من الخُطبة على تكرار صوت القاف وهو حرف شديد الوقع وهو من حروف الاستعلاء حيث يستعلي اللسان عند النطق بها إلى جهة الحنك الأعلى [١٥]، وقد ذكره خمس مرات ، مشيراً في الحشد إلى قوة الممدوح ووجوب الطاعة ، وقد ورد صوت القاف في (الثقل -القرآن – الثقل - موافق له - يفترقا) مما أكسب الفقرات جواً موسيقياً متوازناً أشعرنا بعظم الممدوح ، فكانت هذه الأفعال وأصواتها مؤثرة في وجداننا.

أسم الحرف	الكلمة	عدد مرات التكرار
القاف	الثقل –القرآن	٢
القاف	الثقل - موافق - يفترقا	٣

ب – استعمال صوت المد

لقد لجأ الرسول الأكرم (صلى الله عليه واله) إلى استعمال اصوات المد بشكل كبير وهي (الألف والواو والياء) وتكرار هذه الحروف يهب السامع قيمة صوتية عندما تناسبها حركة ما قبلها ، فيلمس لها السامع تطريباً تطيب به النفس ، ويأنس إليه السمع والوجدان ، ومما زاد في قدرة هذه الأصوات على قوة السماع والانتظام الموسيقي أنها أصوات مجهورة بشكل عام ، يقول الرسول (صلى الله عليه واله) في حق أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) : «معاشر الناس، هذا عليٌّ أخيّ ووصيّ وواعي عِلْمي ، وخليفتي في أمتي على من آمن بي وَعلى تفسير كتاب الله عزّ وجَلّ والدّاعي إليه والعمل بما يرضاه والمحارب لأعدائه والموالي على طاعته والناهي عن معصيته» [١٦]

تبين لنا في هذه المقاطع من الخُطبة سيطرة صوت المد وهي (الألف والواو والياء) ولاسيما الألف والياء لأنهما من أصوات التوسط التي تقع بين الشدة والرخاوة ويكون مرور الهواء في مجراه دون احتكاك أو انحباس [١٧] لما تمتاز به هذه الحروف من الخفة ، لأنها أوسعها مخرجاً ، وقد أكسبت حروف المد هذه الأبيات نغمة موسيقية عذبة لترددها ، والرسول (صلى الله عليه واله) يكثر من هذه المدود ؛ لأنها تعطي الخطيب من تجاوب النظم ما لا يعطيه توالي الحروف والحركات ، وهذه المدود في الأبيات هي للتطريب والتنغيم ، ولهذه الحروف دلالة فكرية ومعنوية ، فضلا عن القيمة الموسيقية ، فقوله (واعي - عِلْمي – خليفتي – الدّاعي - الموالي) فيها مد (الياء) التي تدلّ على الماضي والتأسي، في حين مدّ (الألف) (معاشر – الناس- كتاب - يرضاه – المحارب- طاعته) توحي بالتحسر ويتضح لنا وجود غلاف من التأسي والألم يغلف الخُطبة ، فالموسيقى في الخُطبة تكون تعبيرية إيحائية ،تضفي على الكلمات موسيقى إيحائية قبل أن تكون تعبيرية

اسم الصوت	الكلمة	عدد مرات التكرار
مد الألف	معاشر – الناس- كتاب - يرضاه – المحارب- طاعته	٦
مد الياء	واعي - عِلْمي – خليفتي – الدّاعي - الموالي	٥

المبحث الثاني تكرار الكلمات وتكرار العبارات

أولا: تكرار الكلمات

يوّفر تكرار الكلمة وتكرار الجملة في الخُطبة أو المقالة قيمة سمعية أكثر مما هو لتكرار الصوت الواحد في الكلمة ، لقد عمد الرسول(صلى الله عليه واله) إلى تكرار الألفاظ دون تغيير المعنى ، وهذا يشمل ألوانا عديدة من التكرار هي:

أ-تكرار الكلمة ذات النغمة الخاصة : نحو قول الرسول (صلى الله عليه واله)

«... ملعون ملعون ، مغضوب مغضوب من رد عَلَيَّ قولي هذا وَلَمْ يُوافقْهُ...ألا فمَنَ كُنْتُ مولاهُ فهذا عليّ مولاهُ ...ألا وَقَدْ أدّيتُ، ألا وَقَدْ بَلَّغْتُ ، ألا وَقَدْ أسمَعْتُ ، ألا وَقَدْ أوضَحْتُ...» [١٨]

فتكرار كلمة (ملعون ومغضوب) زاد في نغمة هذه المقاطع، كما أنه كرر كلمة (مولاه) في الخُطبة ، يبدو لنا في هذه المقاطع ذلك التناغم الموسيقي البديع والإيقاع الجميل الذي تطرب الأذن لسماعه ، فقد حقق الرسول (صلى الله عليه واله) بتكراره الألفاظ هذا التطريب العجيب ، فما تكاد موسيقى البيت تنتهي وتستقر في

السماع كي تعود الأبيات سلسلة من الموجات الصوتية والنغمات المتصلة التي لا تنتهي إلاّ بعد أن تكون قد بلغت المستمع مبلغاً عظيماً .

ب- إعادة كلمة أو أكثر من سياق الخُطبة نفسها:

لجأ النبي الأكرم (صلى الله عليه واله) إلى استعمال هذا النوع من التكرار ، فكثيراً ما عمد إلى كلمة ذات مدلول قوي وكررها في سياق الخُطبة في قوله :»... ومنْ شكّ

الكلمة	عدد مرات التكرار
ملعون	٢
مغضوب	٢
مولاه	٢

في شيء مِنْ قوْلي هذا فقد شَكَّ في كُلّ ما أُنْزلَ إليَّ، ومن شكَّ في واحدٍ من الأئمةِ فقد شَكّ في الكُلّ منهم ، والشاك فينا في النار...مِنْهُ عَلَيَّ وإحساناً مِنْهُ إليَّ وَلا إله إلّا هُوَ ،ألا له الحمد مِنيّ أبَدَ الآبِدينَ»[١٩]

فقد كرّر الرسول (صلى الله عليه واله) في سياق الخُطبة الفعل (شك) أربع مرات ، وكرر أيضاً كلمة (منه) مرتين ،كما كرر كلمة (ألا) مرتين ، وهذا التكرار قصد منه تنبيه السامع على أهمية الممدوح وعلوّ مكانته وارتفاع شأنه ، فالغاية من التكرار هنا غاية دلالية ومعنوية.

الكلمة	عدد مرات التكرار
شك	٤
منه	٢
ألا	٢

ثانياً: تكرار العبارات

لايقتصر التكرار على صوت أو مفردة ، إنما إلى تكرار عبارة معينة في الخُطبة، وربما تكون هذه العبارة المرتكز الأساس الذي يقوم عليه البناء الدلالي للنص عن القيمة النغمية التي يؤديها التكرار ، وهذا النوع نجده حاضراً في أماكن عديدة من خُطبة يوم الغدير قوله (صلى الله عليه واله): «...معاشر النّاسِ ، فَضّلوه فقد فَضّلهُ الله ، واقبلوه فقد نصبه الله ، معاشر النّاسِ ،إنَّه إمامُ من اللهِ... «[٢٠]

تكرّرت عبارة (معاشر النّاسِ) حيث كرّرها الرسول (صلى الله عليه واله)مرتين ، ليأتي هذا التكرار لتقوية الصورة ولجلب انتباه الحاضرين، وقد أتى (صلى الله عليه واله) بهذه العبارة في بداية حديثه ليدلّ على مدى أهمية الالتزام بالقرار الإلهي.

وقوله (صلى الله عليه واله):»ألا إنَّ أولياءهُمُ الذَّينَ آمنوا وَلَمْ يَرْتابُوا ألا إنَّ أولياءهُمُ الذَّينَ يَدْخُلُونَ الجنةَ بسلام» [٢١]

فقد كرر (صلى الله عليه واله) عبارة (ألا إنَّ أولياءهُمُ الذَّينَ) في سياق الخُطبة مرتين، وهو لا يمثّل في هذا التكرار الجانب الإنشائي من كلامه ، وإنّما عمد إلى تقوية النغم والجرس على سبيل الترنّم ، فهو يؤكد نغم الكلام السابق من الخُطبة ويصله بنغم الكلام اللاحق لها.

المبحث الثالث التكرار البديعي

تتميز الخُطبة الغديرية بقوة الموسيقى وجمال الإيقاع في الخطاب ،. ونجد في الخطاب الموجّه من قبل الرسول الأكرم (صلى الله عليه واله) إلى عامة الناس بعض انواع البديع المعتمدة على التكرار وقد أستخدم الرسول (صلى الله عليه واله) هذه الفنون لإحداث الأثر

الكلمة	عدد مرات التكرار
معاشر النّاسِ	٢
ألا إنَّ أولياءهُمُ الذَّينَ	٢

الموسيقي المطلوب ، وذلك يشمل ما يأتي :

١-جعل أحد اللفظين المكرّرين أو المتجانسين في أول الفقرة والآخر في آخرها:

من الفنون البديعية القائمة على التكرار عند الرسول (صلى الله عليه واله) ، جعل أحد اللفظين المكرّرين أو المتجانسين في أول الفقرة والآخر في آخرها ، وتسمى التصدير ، وهو «عبارة عن كل كلام بين صدره وعجزه رابطة لفظية أو معنوية تحصل بينهما الملائمة والتلاحم بين قسمي كل كلام» [٢٢] وقد اعتمد الرسول (صلى الله عليه واله) هذا الفن البديعي ؛ لإغناء الخطاب بالموسيقى ،ومن ذلك قوله :

«...ألا فَمَنْ كُنتُ مولاهُ فَهذا عليٌّ مَوْلاهُ،اللهَمَ والِ مَنْ والاهُ وعادِ مَنْ عاداهُ وأنْصُر منْ نَصَرَهُ وَأخذُلْ مَنْ خَذَلَهُ...» [٢٣]

فقد ردّ الرسول (صلى الله عليه واله) أحد اللفظين في أول الفقرة وفي آخرها، فقد كرر في أول الفقرة الكلمات (مولاه ، عاده، نصر ، خذل) الواردة في أول الفقرة وآخرها، مما أكسب الخُطبة نوعاً من الموسيقى الداخلية القائمة بين مفرداتها ، فربط بذلك بين موسيقى الفقرات في الخُطبة ، إذ إنّ صدى أصوات الخُطبة تتردد مرجّعاً في أولها أو آخر الفقرة إلاّ أنهما بهذا التكرار قد أسهمتا في تقوية اللحمة بين السياق في النص ، وزيادة الموسيقى في الخُطبة كاملاً.

٢-الجناس: ومن البديع القائم على التكرار أيضاً الجناس، «وهو أن يورد المتكلم كلمتين تتجانس كل واحدة منها مع الأخرى في تأليف حروفها» [٢٤] وهو عظيم الفائدة ، إذ تتجه مهمته بالدرجة الأولى إلى التلوين الصوتي ، ومن بعده التلوين المعنوي، ويعدّ الجناس التامّ مهمّاً ؛ لأن فيه ترديداً أو ترجيعاً للكلمة نفسها . ومنه قول الرسول في الخُطبة الغديرية :»...مَعاشِر النّاسِ،حِجَّوا البَيتَ،فما وَرَدَهُ أهْلُ بيتٍ إلاّ استغنوا وابشروا...» [٢٥]

فقد أوجد الرسول (صلى الله عليه واله) الموسيقى الداخلية في هذا المقطع من الخُطبة الغديرية ، وذلك باستعمال التكرار المتمثل في الجناس التام بين كلمتي (البيت / البيت) ؛ إذ أورد الرسول (صلى الله عليه واله) الكلمة الأولى بمعنى بيت الله الحرام ، والكلمة الثانية بمعنى عامة الناس الذين يأتون للحج، فأحدث الرسول (صلى الله عليه واله) بهذا التكرار تناغماً موسيقياً في هذا المقطع،ولا عجب من ذلك ، فالجناس التام هو مستوى آخر من مستويات التكرار ، إذ تكرّرت فيه الكلمة بأكثر من معنى ، حتى يصير هذا التكرار إيقاعياً لازماً.

٣- الترصيع : وهو «أن يتوخّى فيه الناظم أو الناثر تصيير مقاطع الأجزاء على شكل مسجوع أو شبه مسجوع ، بحيث تقابل كل لفظة من الجزء الأول لفظة أخرى في الجزء الآخر مشابهة لها بالوزن والتقفية» [٢٦]

ومثاله قول الرسول (صلى الله عليه واله):»...فمَنْ جاءَ بالحَسَنَةِ أُثيبَ عَلَيْها وَمَنْ جاءَنا بالسَّيِّئَةِ فَلَيْسَ لَهُ في الجِنانِ نَصيبُ... « [٢٧]

تمثّلت بنية التكرار في الترصيع القائم بين (جاءَ بالحَسَنَةِ – جاءَنا بالسَّيِّئَةِ) حيث تقابلت كل لفظة من الجزء الأول وهي (جاء) مع جاء في الجزء الثاني ، وتقابلت (الحسنة) مع (السيئة) في الجزء الثاني.

وقوله (صلى الله عليه واله):»فَبايعُوا اللهَ وبايعوني وبايِعُوَا عليَّاً أمير المؤمنين» [٢٨]

فقد تمثّلت بنية التكرار أيضاً في الترصيع القائم بين (فَبايعُوا اللهَ - وبايِعُوَا عليَّاً)

حيث تقابلت كل لفظة من الجزء الأول وهي (بايعوا) مع بايعوا في الجزء الثاني ، وتقابلت (الله) مع (علي)

في الجزء الثاني.

٤-العكس : أن تقدم في الكلام جزءاً ثم تعكسه وتقدم ما أخّرته وتؤخر ما قدّمته، ويسمى التبديل [٢٩] نحو قول النبي (صلى الله عليه واله) :»...وليْسَ مثله شيء وَهُوَ مُنشْئُ الشَّيء حينَ لاشيءَ دائمُ...» [٣٠]

فبنية العكس في هذا الشاهد تمثّلت في قوله (صلى الله عليه واله) (وليْسَ مثله شيء) ، وقوله (وَهُوَ مُنشْئُ الشَّيء) ، فالرسول (صلى الله عليه واله) عكس الألفاظ عن طريق التقديم والتأخير لخدمة المعنى ، هذا العكس أنتج بنية تكرارية من خلال تكرار الألفاظ عينها.

٦-الترديد: الترديد أن يأتي الخطيب بلفظة متعلقة بمعنى ، ثم يردّدها بعينها متعلقة بمعنى آخر في السياق نفسه أو في قسم منه [٣١] ومثاله قول الرسول (صلى الله عليه واله):»...وَعَلى أحدٍ ممَّن شَهِدَ أوْ لَمْ يَشْهَدْ، وَلَدَ أو لَمْ يُولَدْ...» [٣٢]

همَّ عن دعوتي ومنْ ساءَ سمعاً في مواضعي أمثالِهم ، ساء جابهْم

فالرسول (صلى الله عليه واله) في بداية الكلام السابق ردّد لفظ (لم) مرتين ، وعلقها في كل مرة بمعنى مخالف للمعنى الأول ، ففي البداية علقها بلفظة (يشهد) ، ثم ردّدها وعلقها بلفظة (يولد) وقوله (صلى الله عليه واله): «قَدْ ضَلَّ قَبْلكُمْ أكْثَرُ الأوَّلين وَاللهُ لَقَدْ أهْلَكَ الاوَّلين...» [٣٣]

كذلك في هذا السياق كرّرت لفظة (الأولين) مرتين ثم علقه بمعنيين مختلفين وهما (أكثر) و (أكثر) ، ولعلّ بنية الترديد – كما اتضح لنا في المثال – قريبة من بنية التكرار ، ولكن ما يميّزها من التكرار أن اللفظة المردّد يشترط فيه أن يتعلق في كل مرة بمعنى جديد مخالف للمعنى الذي تعلّق به في المرة الأولى.

الخاتمة

وقد توصّل البحث إلى جملة من الأمور وهي

١-تبين عن طريق الدراسة أن ظاهرة التكرار موجودة بشكل ملفت للنظر في الخُطبة الغديرية كوسيلة تعبيرية فقد جاءت للتأثير في المتلقي ' وإثراء الإيقاع الموسيقي المتناغم في نفسه وذهنه.

٢-الموسيقى اللفظية في الخُطبة الغديرية لا تقتصر على الجانب النغمي فقط ، وإنما تتعدّى ذلك إلى الجانب المعنوي ، فالرسول(صلى الله عليه واله) يختار بدقة الصوت المناسب للمقام المناسب فيسهم بإحداث تأثير عقلي ونفسي في المتلقي واستخدامه في سياق المدح أصوات ذات جرس قوي تؤثر في أذن السامع وأحاسيسه

٣-لم يقتصر التكرار على الصوت فقط, ولكن عمد إلى تكرار الكلمة وبحرفية متقدمة، فقد كرّر الكلمة ذات النغمة الخاصة، وهذا أضفى على الخُطبة جمالاً من نوع خاص من التطريب العجيب.

الهوامش

١- كتاب العين ، الخليل بن أحمد الفراهيدي ، تح : مهدي المخزومي، ابراهيم السامرائي، ١٩٨٦،ص ٢٧٧/٥

٢- لسان العرب ، ابن منظور ، دار صادر ، بيوت ، لبنان ، دت ، مادة كر -١٣٥/٥

٣- مدخل إلى شعر المتنبي ، حسين الواد، دار الجنوب للنشر، تونس،١٩٩١،ص٧٩

٤- قضايا الشعر المعاصر، نازك الملائكة ، دار العلم للملايين ، بيروت، ١٩٧٨،ص٢٤٢

٥- الخُطبة الغديرية النص الكامل ، للرسول الأكرم (صلى الله عليه واله) ، تح: محمد الأنصاري، شبكة الفكرة، ص٦-٧

٦- ينظر: شرح الألفية لابن الناظم ٢١٠\، وينظر شرح الاشموني \ج٣ :٨٠

٧- الخصائص، لابي الفتح ، ابن جني، الهيئة المصرية العام للكتاب ، ط٣،١٤٠٨هـ/ج٢/ص٥٢

٨- الخصائص،٤٦/١-٤٧

٩- فقه اللغة ، علي عبد الواحد وافي، نهضة مصر ، ط٣،٢٠٠٤م،ص ١٧٥

١٠- الخُطبة الغديرية النص الكامل ، للرسول الأكرم (صلى الله عليه واله) ، تح: محمد الأنصاري، شبكة الفكرة، ص٢٧

١١- المصطلح الصوتي في الدراسات العربية ، د.عبد العزيز الصيغ، دمشق،دار الفكر،١٩٩٨م،ص١١٨

١٢- الخُطبة الغديرية ، ص٣١

١٣- الخطبة، ص٣٤

١٤- ينظر : الأصوات اللغوية ، إبراهيم أنيس ، مكتبة نهضة مصر ، دت ،ص٢٤

١٥- الخُطبة ، ص٤٠

١٦- المصطلحات الصوتية والنحوية عند البصريين في القرنين الثاني والثالث الهجريين ، زهيرة قروي ، رسالة ماجستير، جامعة قسطنية، ٢٠٠٨، ص١٣٧

١٧- الخُطبة ، ص٤٢

١٨- ينظر : دراسة في علم الصوت ، د.حازم علي كمال الدين، ص٣٩-٤٠

١٩- الخُطبة ، ص٣٩،٤١

٢٠- الخُطبة ص٣٨-٣٩

٢١- الخُطبة ، ص٣٨

٢٢- الخُطبة ، ص٥٢

٢٣- بديع القرآن ، ابن أبي الأصبع ، تح محمد شرف، دار النهضة ، مصر القاهرة، دت ، ص٣٦

٢٤- الخُطبة ،ص٤١

٢٥- كتاب الصناعتين ، أبو هلال العسكري ،ط٢،تح علي محمد البيجاوي، دار الفكر العربي، ص٣٥٣

٢٦- الخُطبة ، ص٥٧

٢٧- نقد الشعر قدامى بن جعفر ،تح عبد الحميد العبادي، دار الكتب المصرية ، ١٩٩٣، ص٤٠

٢٨- الخُطبة ، ص٦٠

٢٩- الخُطبة ، ص٦٣

٣٠- أنوار الربيع في انواع البديع ، ابن معصوم ،ط١، تحق شاكر هادي ، مطبعة النعمان ، ١٩٩٨م، ج٣/ص٣٣٧

٣١- الخُطبة ، ص٢٨

٣٢- ينظر : العمدة ، أبن رشيق القيرواني ، ج٣٧٣/١

٣٣- الخُطبة ، ص٤٨

٣٤- الخُطبة نص٤٩

المصادر والمراجع

١- الأصوات اللغوية ، إبراهيم أنيس ، مكتبة نهضة مصر ، دت

٢- بديع القرآن ، ابن أبي الأصبع ، تح محمد شرف، دار النهضة ، مصر القاهرة، دت

٣- الخُطبة الغديرية النص الكامل ، للرسول الأكرم (صلى الله عليه واله) ، تح: محمد الأنصاري، شبكة الفكرة،

٤- دراسة في علم الصوت ، د.حازم علي كمال الدين ، ط١ ، ١٩٩٨م

٥- شرح ابن الناظم على ألفية ابن مالك المؤلف: بدر الدين محمد ابن الإمام جمال الدين محمد بن مالك (ت ٦٨٦ هـ) المحقق: محمد باسل عيون السود الناشر: دار الكتب العلمية الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م

٦- شرح الأشموني على ألفية ابن مالك المؤلف: علي بن محمد بن عيسى، أبو الحسن، نور الدين الأُشْمُوني الشافعي (المتوفى: ٩٠٠هـ) الناشر: دار الكتب العلمية بيروت- لبنان الطبعة: الأولى ١٤١٩هـ- ١٩٩٨مـ

٧- قضايا الشعر المعاصر، نازك الملائكة ، دار العلم للملايين ، بيروت، ١٩٧٨م

٨- كتاب الصناعتين ، أبو هلال العسكري ،ط٢،تح علي محمد البيجاوي، دار الفكر العربي

٩- كتاب العين ، الخليل بن أحمد الفراهيدي ، تح : مهدي المخزومي، أبراهيم السامرائي، ١٩٨٦م

١٠- لسان العرب ، أبن منظور ، دار صادر ، بيوت ، لبنان ، دت

١١- مدخل إلى شعر المتنبي ، حسين الواد، دار الجنوب للنشر، تونس،١٩٩١

١٢- نقد الشعر ، قدامى بن جعفر، تح :عبد الحميد العبادي، دار الكتب المصرية ، ١٩٩٣م

الرسائل الجامعية

المصطلحات الصوتية والنحوية عند البصريين في القرنين الثاني والثالث الهجريين ، زهيرة قروي ، رسالة ماجستير، جامعة قسطنية، ٢٠٠٨م